الوهرانى الكاتب

ترجمته — رسائله

وضع واختيار وتحقيق للأستاذين

ابراهيم الابيارى و عبد الحفيظ شلبى
المحررين بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية

كنا مع القراء على وعد بأن ننشر بين أيديهم فى الجزء من الصحيفة بعدد الجزء شيئا من مخطوط اللغة والأدب مما لم تتصل به يد فتبعثه من مرقده ، ولما كان نصيب هذا الجزء من المخطوط رسائل لكاتب خفيت آثاره ، وأصبح العلم به لا يعدو آحادا ، رأينا أن نعرض هنا له بكلمة نترجم فيها حياته تتخللها رسائله :

الوهرانى الكاتب

هو أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهرانى الملقب بركن الدين ، وقيل جمال الدين .

ووَهْران — التى ينسب إليها أبو عبد الله — مدينة فى أرض القيروان بينها وبين تِلِمْسان يومان ، وهى على ضفة البحر ، ولهذا ترى الكثير من أهلها يحترف بالتجارة . وقد أسست فى سنة تسعين ومئتين . وخرج منها من العلماء غير رجلنا هذا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمدانى الوهرانى الأندلسى ، شيخ ابن عبد البر(١) وأبى محمد بن حزم حافظ الأندلس .

ولقد كان أبو عبد الله الوهرانى رجل تطواف ورحلة ، لا يستقر له مقام بمكان ، تنقل فى كثير من البلاد . وكانت مصر وداريا — وهى قرية على باب

(١) هو الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله النمرى القرطبى ولد سنة ٣٦٨ وتوفى سنة ٤٦٣ وله تواليف لامثيل لها ، منها كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب .

دمشق فى الغُوطة — مكانين طالت بهما أيامه .

أما عن مصر وسبب طول إقامته فيها ، فقد صادف نزوله بها أيام صلاح الدين ، وكان الوهرانى ممن عرفوا بالكتابة والإحسان فيها ، وكانت حلبة الكتابة إذ ذاك عامرة بالكتاب ، وكان السبق فيها للكاتبين الأديبين القاضى الفاضل وعماد الدين الأصبهانى . وأنت تعرف من القاضى الفاضل ، ثم لعل علمك بالعماد فى حاجة إلى أن نزيدك عليه بأنه صاحب خريدة القصر ، فى شعراء الشرق والمغرب ومصر ، التى جمعت فى مجلداتها الست لفًّا من الشعراء فى هذه البقاع ممن عاشوا فى المئة السادسة وعاصرهم المؤلف .

وكما يعشق الجندى الباسل ميادين الكفاح والجلاد ، يعشق الكتاب والشعراء ميادين الكتابة والشعر ؛ لهذا رأينا الوهرانى قصد قَصْد مصر ، لما اكتملت له قوة بيانه ، ينازل فى ميادينها كتابها .

وهنا تحدثنا كتب التاريخ فتقول :

« فلما دخل البلاد (أى مصر) ورأى بها القاضى الفاضل ، وعماد الدين الأصبهانى الكاتب ، وتلك الحلبة ، علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ، ولا تنفُق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل . . . الخ »

هكذا يحدثنا عن الوهرانى من تحدث عنه بأنه خلّى بينه وبين الجد ـ وقد كان سنتَه فى رسائله ـ إلى الهزل عند ما نزل مصر ، ثم كان له فى ذلك رسائل اخف ما تكون رقة ، وأعذب ما تكون منطقا ، وأملأ ما تكون بالفكاهة والدعابة ، وأنه خلف من ذلك ديوان رسائل يكاد يبين عن خفة روحه ، ورقة حاشيته ، وكمال ظرفه . وضع بعض هذا الديوان بمصر وبعضه بالشام ، وله من بين رسائله رسالة طويلة سماها منام الوهرانى ، اجتمعت كلمة الكتاب على التنويه به والاشارة إليه . ولم يذكر مؤرخ أو كاتب الوهرانى وعرض إلى رسائله إلا خص بالذكر منها هذا المنام وأفاض فى مدحه ، واتخذ منه دليلا على سعة اطلاع وغزارة مادة .

وفى ظننا أن الهزل فى القول والدعابة فى الحديث صفة لايخلقها المرء فى نفسه

خلقا ، كما أتيح للوهرانى أن يفعل عندما نزل مصر ، وهو إن استطاع ذلك فبعيد أن يصل منها إلى الذروة ، وتصدر عنه فيها تلك الكلمات التى صدرت عن الوهرانى ، والتى إن دلت على شيء فلا أقل من أن تدل على أن تلك الرسائل وهذا المقام لاتصدر إلا عن قلب فطر على الدعابة ، وخامرته روح الهزل صغيراً ، فشب عليهما وكانا فيه طبعا تشقهما يوم تشق الهواء فى هذه الحياة . وبعيد أن ينشأ الإنسان على الجد فى القول ثم يصرف نفسه عنه إلى الهزل ولا يحس لجده — الذى هو الأصل فى نفسه — أثراً واحدا .

نصدق أن الرجل قد كان قبل أن تحتويه مصر مصدراً للنوعين الجد والهزل ، يقول فى هذا وفى ذاك ، ونصدق أيضاً أن من هذا شأنه لاتكاد ترى له جدا إلا أحسست له فى خلاله لونا من ألوان الهزل ، يقل أو يكثر على حسب الروح الذى يهيمن على الرسالة إذ ذاك . وأنك لاترى له هزلا كذلك إلا وللجد منه نصيب .

وهكذا كان الوهرانى من شبَّه إلى دُبَّه نهباً لهاتين النزعتين . وهذه رسالته إلى القاضى الفاضل ، بدأها جادا ، وكان بوده — فى ظننا — أن يختمها كما بدأها ، فجرى على السنن الذى بدأ فيه شوطا ثم غلبته فى نهايتها روح الهزل فهزل . وهاهى ذى :

* * *

مجلس مولاى القاضى الفاضل(١) ، أبقاه الله ، مجلسُ قضاء وتَنفيذ ، وموضعه موضع إبرام وتحليل ، فيه مُعْترك الحُظوظ ، ومقارعة البحوث ، ومنه تتفجر ينابيع الأرزاق ، وفيه مشابه من اللوح المحفوظ ، فلأجل ذلك ساعا ته مترعة(٢) بالأشغال ، وأوقاته ملآنة بمُهِمّ الدولة ، متدفقة بحوائج الناس ، ليس فيها فضلة

(١) هو الوزير الكاتب الشاعر مجير الدين أبو على عبدالرحيم بن القاضى الأشرف بهاء الدين ، وهو عسقلانى المولد مصرى الدار . وزر للسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وولد بمدينة عسقلان سنة ٥٢٩ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٥٩٦ هـ وقد خلف فيما خلف ديوان رسائل وديوانا آخر فى الشعر .

(٢) مترعة : مملوءة .

لمستفيد علم ، ولا لمبتغى أنس وتذكار ، فكسدت عنده بضاعة الخادم ، وبارت صنائع البطالين .

فيجب على الرجل المطوّق بصنائعه ، الضعيف المُنّة (١) عن القيام بشكره ، إذا همّ بخدمة فى موسم أو رأس شهر جديد ، أن يقف على باب داره فى وقت ركوبه ، فيهنئه وينصرف ، ليجمع بين الخدمة والتخفيف ، والسلام .

* * *

وهذه رسالته الثانية إلى القاضى الفاضل يتمسحه فيها ويتلطفه ، والتى هى لا الجد البحت ولا الهزل الصراح ، وإنما هى خفة الروح لبستها ألفاظ الرسالة فصدرت عن الوهرانى تهزك بالطرب الذى تضمنته فى ثوب يكاد يكون الجد أو هو إليه أقرب . قال :

* * *

عند عبد مولاى القاضى الأجل الفاضل أدام الله جدّه ، وأهلك ضدّه ، من السرور بقربه ، والدخول فى سربه

كما سر مهجور بوصل الحبائب

ومن الارتياح إلى جلاله ، والورود على زُلاله

كما ارتاح ظمآن لعذب المشارب

ومن الاهتزاز لمعانيه ، والطرب إلى ما يعانيه

كما اهتز عسّال من السُّمْر باتر

ومن الافتنان بلفظه ، والاعتكاف على حفظه

كما نظم الدرّ المفصّل ناثر

ولولا أن عبده أخفش البصيرة والبَصَر ، تغلبه لُكنة الحَصَر ، ويَضعف عن مقابلة الشمس والقمر ؛ للازمه ملازمة السَّعْد لبابه ، والتوفيق لأحبابه ، لكنه كالخفّاش يعشى عن الأنوار ، وكالجعل يتأذّى برائحة النوار ، فلا يمرح فى شكاله ، ولا ينبسط إلا مع أشكاله ؛ ولا يغتر - أدام الله عزه - بزخارفه .

(١) المنة : القوة .

فالعود أطيب من ثراه ، والكلام أحسن ممن افتراه ، ولأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، ولولا أن نسيب خادمه أقبح من المشيب ، وقريضه أوجع من التقريض ، وفقره أشر من الفقر ، وقرائنه كالقرين السوء ، لأرسلها كالأفراس ، وأسكت بها صياح الأجراس ، والسلام .

* * *

هاتان الرسالتان وقليل غيرهما ، لم نر الوهرانى فى رسالة من رسائل ديوانه الذى بين أيدينا ، كان قريبا من الجد قربه فيها .

ولقد أثبتناهما هنا لنسجل للوهرانى شيئا فى ناحيته الأولى ، ناحية جده ، ولنخلص منهما إلى أن الروح التى تملكها الفكاهة يخونها الإفصاح عما تكنه إن هى حاولت أن تكون جادة على طول الطريق .

ولعل من قرأ للوهرانى رسائله التى داعب فيها فأسرف ، وتماجن فأغلى ، وجاوز فيها حدود الأدب فأفحش ، ثم وازن بينها وبين هاتين الرسالتين عدّهما من بين تلك الرسائل جدّا ؛ وعند هذا الرأى وقف المؤرخون ، فجعلوا للوهرانى ناحيتين منفصلتين ، ونزعتين مقطوعا ما بينهما .

وإنّ أسفنا لعظيم على أننا لم نعثر للوهرانى على رسالة واحدة قبل قدومه إلى مصر — وهى الفترة التى كنا نحب أن نرى له فيها أثرا واحدا — لنعرف كم كان مبلغ الجد من رسائله ، وهل كان فى الحق جدا لا تشوبه روح الوهرانى الماجنة الهازلة . أو أنه كان كيوم القيظ لا يعدم الإنسان من بين لحظاته لحظة يتمتع فيها بنسمات ندية .

والآن نسوق عن الوهرانى صنفا آخر من رسائله ، ألا وهو رسائله التى كانت هزلا ، والتى عرفها عنه المؤرخون واشتهر هو فيها وأجاد . وهاهى ذى رسالة له كتبها إلى الأمير (١) عزالدين موسك (٢) عن لسان بغلته ، وهى رسالة يكاد الجد ينعدم

---

(١) هو خال صلاح الدين الأيوبى وإليه ينسب شارع الموسكى لأنه كان ينزل قصرا به

(٢) تلحق الكاف فى اللغة الفارسية آخر الاسماء عند ارادة التصغير ، فيقولون عند تصغير موسى موسك وفى حسن حسنك وهكذا .

بين سطورها، فلا ترى إلا فكاهة طريفة، ودعابة حلوة تجرى من أول سطر فى الرسالة إلى آخر سطر منها، وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم

المملوكة ، رَيحانة ، بغلة الوهرانىّ ، تقبل الأرضَ بين يدى المولى عزّ الدين حسام أمير المؤمنين ، نجّاه الله من حر السعير ، وعطر بذكره قوافل العير ، ورزقه من القرط (١) والتبن والشعير ، وَسق (٢) مئة ألف بعير ، واستجاب فيه صالح الأدعية من الجم الغفير ، من الخيل والبغال والحمير ؛ وَتنهى (٣) إليك ما تقاسيه من مواصلة الصيّام ، وسوء القيام ، والتعب فى الليل والدواب نِيام . قد أشرفتْ على التّلف ، وصاحبها لا يحتمل الكلف (٤) ، ولا يُوقن بالخَلَف ، ولا يحلّ به البلاء العظيم ، إلا فى وقت حاجتى إلى القَضيم (٥) ، لأنه فى بيته مثل المسك والعَبير ، فشعيره أبعدُ من الشّعرى (٦) العَبور ، لا وصول إليه ولاعُبور، وقرطه أعزّ من قرط (٧) ماريه ، لايخرجه بيع ولاهبة ولاعاريه ، والتبن

(١) القرط (بالضم) : نبات كالرطبة إلا أنه أجل منه وأعظم ورقا (البرسيم) .

(٢) الوسق : حمل البعير . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصل المخطوط بالشين المعجمة وهى مصحفة عما اثبتناه .

(٣) أنهى اليه الأمر : أعلمه به .

(٤) الكلف : جمع كلفة (بالضم) وهى المشقة .

(٥) القضيم : شعير الدابة .

(٦) الشعرى العبور : كوكب يطلع فى الجوزاء وطلوعه فى شدة ، الحر ، ويقال له أيضا الشعرى اليمانية

(٧) من أمثال العرب : خذه ولو بقرطى مارية . وهى مارية بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية الكندى، وابنها هو الحارث الأعرج، وإياها عنى حسان بقوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

وكان فى قرطيها درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما، ولم يدر ماقيمتهما ، فضربتهما الناس مثلا فى النفائس وقالوا : أنفس من قرطى مارية . وقيل : انها أهدت قرطيها هذين إلى الكعبة.

أحبّ إليه من الابن ، والجُلبّان(١) أعزّ من دهن البان ، والقَضيم بمنزلة الدر النظيم؛ والعضة (٢) ، أجمل من سبائك الفِضّه ، وأما الفول، فمن دونه ألفُ باب مقفول . فما يهون عليه أن يعلف الدواب إلاّ بعيُون الآداب ، والفقه اللباب ، والسؤال والجواب ، وما عند الله من الثواب . ومعلوم ياسيدى أنّ البهائم لا توصف بالحُلوم ، ولا تعيش بسَماع العلوم ؛ ولا تَطْرَب إلى شعر أبى تمّام ، ولا تعرف الحارث (٣) بن همام ؛ ولا سيّما البغال ، التى تشتغل فى جميع الأشغال ، شبكة من القَصيل (٤) ، أحبّ اليها من كتاب التحصيل(٥) ، وقفّة من الدريس(٦) ، أشهى

---

(١) الجلبان (بضم الجيم واللام وتشديد الباء وقد تخفف): من القطانى ، وله قضبان مربعة ، ينبسط على الأرض وحبه مدور إلى البياض وليس بصحيح التدوير حلو ويؤكل نيئا فى الربيع ثم يجفف ويطبخ .

(٢) العضة (بالكسر) : العضاه وما صغر من شجر الشوك . و (بالضم) : العجين تعلفه الابل والشعير والحنطة ، وهو أيضاً اليابس من الحشيش .

ولعل العجين هو المراد من بين هذه المعانى لأنه أقربها شبها بالفضة فى اللون وفى أنه يكون فى تجمعه وتكونه كالسبيكة . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصل محرفة .

(٣) هو الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وهو الذى مدحه أبو دواد الايادى فأعطاه عطايا كثيرة، ثم مات ابن لأبى دواد وهو فى جواره فوداه فمدحه أبو دواد ، فخلف له الحارث أنه لايموت له ولد إلا وداه ولا يذهب له مال إلا أخلفه، فضربت العرب المثل بحسن جواره وفيه يقول قيس بن زهير :

أطوف ما أطوف ثم آوى إلى جار كجار أبى دواد

(٤) القصيل : الشعير يجز أخضر لعلف الدواب ، سمى به لسرعة اقتصاله من رخاصته .

(٥) لعله يريد كتاب البيان والتحصيل لابن رشد المتوفى سنة ٥٣٠ هـ وهو فى فقه المالكية : أو كتاب تحصيل عين الذهب للشنتمرى من علماء القرن الخامس الذى كان وضعه شرحا على كتاب سيبويه .

(٦) هو بالعربية الدرين وإبدال السين من النون تحريف .

اليها من فقه محمد بن إدريس . لو أكل البغل كتاب المقامات (١) ، لمات ؛ فان لم يجد إلا كتاب الرّضاع ، ضاع ، ولو قيل له أنت هالك ، إن لم تأكل موطأ مالك ، ماقبل ذلك ؛ وكذلك الجمل لا يتغذّى بشرح أبيات الجُمَل (٢) وحُزْمة من الكلا ، أحَبُّ إليه من شعر أبى العلا ، وليس عنده طيب ، شعر أبى الطيب . وأما الخيل ، فلا تَطْرَب إلا لسماع الكيل ، وإذا أكلت كتاب الذّيل ، ماتت فى النهار قبل الليل ، والويل لها ثم الويل ، ولا تستغنى الأكاريش عن الحشيش ، بكل ما فى الحماسة من شعر الحريش (٣) ، وإذا أطعمت الحمار شعر ابن عمّار (٤) ، حل به الدّمار ، وأصبح منفوخا كالطبل ، على باب الاسطبل ، وبعد هذا كله قد راح صاحبها إلى العلاّف وعرض عليه مسائل الخلاف ، وطلب من تِبْنه خَمْسَ قفاف ، فقام إليه بالخفاف ، فخاطبه بالتقعير ، وفسّر عليه آية العير ، وطلب منه وَبْنة شعير . فانصرف الشيخ منكسر القلب ، مغتاظا من الثاب ، فالتفت إلى المسكينة ، وقد سلبه الغيظ ثوب السكينة ، وقال لها : إن شئت أن لا تُكَدّى فكُدّى ، لا ذقت شعيرا مادمت عندى ، فبقيت المملوكة حائره ، لا قائمة ولا سائره ؛ فقال لها العلاف : لا تجزعى من حباله ، ولا تلتفتى إلى سباله (٥) ، ولا يكون عندك أخس من عَنْفَقَته (٦) . هذا الأمير عز الدين ، سيف المجاهدين ، أندى من الغمام ، وأمضى من الحُسام ، وأبهى من البدر ليلة التمام ؛ يرثى للمحروب ، ويفرّج عن المكروب ، وهو نبى بنى أيوب ؛ لا يردّ

(١) لعله يريد المقامات للحريرى . وهو كتاب غنى عن التعريف به .

(٢) لعله يريد كتاب « الجمل الكبيرة » للزجاجى النحوى المتوفى سنة ٣٣٩ . وقد شرح أبياته البطليوسى المتوفى سنة ٦٢١ هـ فى كتاب سماه « الحلل فى شرح أبيات الجمل » كما شرحه ابن العريف الاندلسى المتوفى سنة ٥٣٩ هـ فى كتاب سماه « شرح الجمل » .

وهناك شروح غير هذين إلا أنها لمؤلفين متأخرين عن الوهرانى .

(٣) هو الحريش بن هلال القريعى .

(٤) هو ابن عمار الأسدى وهو الذى يقول فى رثاء ابنه معين :

حللت بخسر سابور مقيما يؤرقنى أنينك يا معين

وخسر سابور بلد من بلاد العجم

(٥) سبال : جمع سبلة (التحريك) وهى الشارب .

(٦) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

قائلا ، ولا يخيّب سائلا . فلما سمعت المملوكة هذا الكلام ، جذبت الزمام ، ورفست الغلام ، وقطعت اللجام ، وشقّت الزحام ، على الأقدام ورأيك العالى والسلام .

وإذا كنا قد قدمنا هذه الرسالة فما أولانا بأن نلحق بها رسالة له وضعها فى صورة سؤال ، — وفى أكثر الظن أنه كتبها يعرض فيها بابن الحكم المدرس لمذهب الحنفية حينذاك — وسوف تلمس هنا شيئا من فحش القول ، وهذا مالم يبرأ منه كثير من رسائله ، إلا أنك مع هذا لاتخرج عن الحكم للرجل بالابداع والقدرة ، ثم بالابتكار حينما تراه لم يغفل أن يضع للسؤال جوابا جعله على ألسنة الفقهاء الذين وجه إليهم السؤال . وهاك سؤاله ثم الجواب عنه :

ما تقول السادة الفقهاء ، رضى الله عنهم ، فى رجل يَرَى أنه من أئمة الشرع ، ومن أرباب الأصل والفرع ؛ ويعتقد أن له الدرجةَ المُنيفه ، فى مذهب أبى حنيفه ، ويقول : لو جادلت مالكا ، لصرت له مالكا ؛ ولو لقيتُ ابنَ إدريس ، لسلّم إلى منه التدريس ؛ ولو أدركت ابنَ حنبل ، لكنت أتقى منه وأنبل ؛ وسِرُّه — وفقكم الله — يخالف نجواه ، وفعلُه يكذّب دعواه ؛ وذلك أنه يُبيح الفروج للفروج ، ويستحل سفك الدّما ، على البيض والدُّمى ؛ ويأخذ بأرخص الأقوال ، فى استباحة الأموال ؛ إن دخل الجامع ، . . . . ؛ (١) ، وإن ولى المدارس ، صيّر العلم كالطلل الدارس ؛ وإن سكن المشاهد ، طلب الرقص والشاهد ، وإن صعد للوعظ على الأعواد ، حثّ الحُرَم على الوفاء بالميعاد ؛ ومزج لهم الهزل بالجد . ثم إنه لركاكة دينه ، وضعف يقينه ، يصلّى قاعدا من غير ألم ، ويبول قائما على فرد قدم ؛ فتراه يسهر على القمار والحزر ، وينام ليلة القدر ؛ ويستحل بيع القِبلة بقبله ؛ ومكة بصكه ، ولا يشترى حِجّة ، بعُجّه (١) ؛ ولا عُمْره بتَمْره . قد أخرج مال الفتوح والصدقات ، فى المهور والصدقات ؛ وصيّر مال الحبس والأوقاف ، لربات الشرف والأوقاف ؛ قد أفرغ من . . . (٢) قواه . واتخذ إلاهه هواه ؛ فغدا بلا عقل ولا حلم ، وأضله الله على علم ؛ وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة

(١) العجه (بالضم) : الطعام الذى يتخذ من البيض . وقيل هو كل طعام يجمع من التمر والاقط . (٢) تعمدنا عدم اثبات هذه الجملة لاسفافها .

فبينوا — وفقكم الله — أيجب على السلطان أن يضرب على يده ، أم يقويه على ماهو عليه ، مأجورين مثابين إن شاء الله تعالى .

* * *

الجواب على لسان الفقهاء

إن صح ماذكر عنه من هذه الحال ، وكثرة الإضلال: فيجب أن يعزر بديا ، وينبذ قصيا ، بعد أن ينتف من ذقنه ماطال وماقصر ومابين ذلك ، وما كان ربك نسيا . وليس من التحقيق الجائز ، أن يدفع مال الوقف للعجائز ؛ فان يفعل ذلك أخذ من نفقته ، مع شعرات من عنفقته ؛ وإن يثب للفرار ، فليس إلا الطرطور والحمار . هذا مقتضى الدليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

ولا يسعنا قبل أن نختم عن الوهرانى حياته فى مصر ونودع رسائله إلا أن نورد رسالته هذه القصيرة التى كتبها إلى ابن مسلم الشاهد .

وكان ابن مسلم ممن يقولون بالإمام القائم المنتظر كما كان متهما بالتفريط فى أمانة أودعها عنده الكامل بن شاور .

وفى الرسالة معنى جديد نعرفه عن الوهرانى ، وهو أنه لم يك من غلاة الشيعة ولا ممن يقولون بالامام المنتظر . قال رحمه الله :

* * *

وحق الحجاب والكتاب ، والبغلة والسرداب ؛ والامام القائم ، الحى الدائم ، الذى لايموت ولا يفوت ، ولا يحتاج إلى القوت ؛ ما أحدثت فى ملكى هذا حدثا يوجب الفسخ ، وإلا قلت إن الأمة لم ترتد عن الاسلام ، بعد النبى عليه السلام ؛ وإن أصحابه العشرة ، لم يتمالئوا على ابن عمه حيدره ، وإن ابن أبى قحافه ، أولى منه بالخلافه ؛ وإن عمر بن الخطاب ، أولى منه بالحكم وفصل الخطاب ؛ وإن الخليفة عثمان ، سبقه إلى التوحيد والإيمان ، وإن معاوية فى كل ما ادعاه من المطالب ، أحق به من على بن أبى طالب ؛ وإن عائشة أمنا ، بعيدة من الافك والخنا ، والا قلت إن أهل السنه ، يدخلون الجنه ، وإن مذهب الشيعه ، كسراب بقيعه ؛ وإلا حشرنى الله مع يزيد ، إذا قالت النار هل من مزيد ؛ وسلط عليه أنواع البلا ، ولا حشره مع شهيد كربلا ، وإلا أذاب الله كل دينار استودعنيه

الكامل فى حدقتيه ، ولا أراه فى دولة العز ما تقر به عينيه .

من هذه الرسائل نرى أن الوهرانى كان على ما وصفنا لك يملك زمام الجد والهزل ، وأنه كان إلى الهزل أميل . ولعل خلو ميدان الأدب فى مصر من هازل خفيف الروح مثله هو الذى شجعه على أن يقدم إليها ليسد فراغا ، ويتبوأ كرسيا خاليا ، ويتمتع بالامارة ولو غير مأمورين .

وأما عن البلد الثانى الذى ظفر بالوهرانى زمنا طويلا ، فهو داريا ، وأكبر الظن أن رحلة الوهرانى إليها كانت بعد فراقه مصر ، وأما أن الوهرانى رحل إليها من مصر دون أن يعرج على غيرها فذلك مالا نملك الآن فيه رأيا . وكل ما نستطيع أن نقوله إنه كان بداريا آخر أيام حياته ، وأنه تولى فيها الخطابة .

نقول هذا ونعجب كيف اختير للخطابة رجل عرف عنه هذا الماضى الذى كان فى بعضه هازلا ، وكان فى بعض هذا الهزل مفحشا . وفى اعتقادنا أن قوة البيان وحدها لا تغنى عند الاختيار لمنصب كالخطابة ، اللهم إلا إذا كان الوهرانى على غير الخطابة الدينية ، وهذا ما نستبعده . ولعل الذى برر هذا الاختيار ما كان قد وصل إليه الوهرانى حينذاك من سن متقدمة يملك فيها العقل زمام اللسان ، وتحوط هيبتها صاحبها بسياج من الوقار ، فلا تجعله يُصدر حين يصدر إلا عن جد ، وفوق ذلك فان للخطابة والخطيب قيودا وتقاليد .

ولسنا نشك فى أنه كانت تجرى على الوهرانى بسبب الخطابة وظيفة . وهذا ما حدا بالوهرانى إلى المقام فى داريا ، إذ أحب البلاد إلى نفس الانسان بلد يتصل فيه رزقه ، ويرغد فيه عيشه . فعاش الوهرانى بها زمنا — لم نعثر فيما بين أيدينا من المراجع على تحديده — حتى أدركته منيته سنة ٥٧٥ هـ فدفن على باب تربة الشيخ أبى سليمان الدارانى فى السابع عشر من رجب عليه رحمة الله .

هذه كلمة أوجزنا فيها حياة الوهرانى الكاتب المجهول لدى كثير من قراء العربية وكم كنا حريصين على أن ننشر بين يدى قراء « صحيفة دار العلوم » منامه ، لولا أنه كثير التصحيف والتحريف ، وهو لذلك فى حاجة إلى فرصة واسعة ، وهذا ما لم يتيسر لنا ، مع كثرة ما بين أيدينا من أعمال ، فى تلك الفترة الوجيزة التى مضت على صدور الجزء الرابع إلى ظهور هذ الجزء فعذرا .